فكاهات

رواية

المتهم البريء (١)

كان في احدى مدن انكلترا فتىً يدعى يوسف من اسرة شريفة وكان ابواهُ على سعةٍ من اليسر فربياهُ تربيةً حسنة الا انهُ لم يكد يناهز سن الشباب حتى اخنى الدهر على والدهِ فذهب مالهُ واصبح فقيراً لا يملك القوت ولم يلبث بعد ذلك ان توفي وتوفيت والدتهُ وبقي يوسف يتيماً فقيراً ليس لهُ من يعولهُ ولا ترك لهُ ابواهُ ما يعيش بهِ . فجال يطلب لهُ شغلاً يرتزق منهُ فاغلقت الدنيا في وجههِ ابوابها ولم يقصد احداً من معارفهِ يستعينهُ الا اصمّ اذنيهِ عنهُ الى ان سئم العيش وكثيراً ما كانت تحدثهُ نفسهُ ان يتطاول على بعض بيوت الاغنياء فيسلب منهُ حاجتهُ ثم تمنعهُ الانفة من ذلك فيكفّ عنهُ

ولما بلغ منهُ الضيق وسُدّت امامهُ جميع سبل المعاش عزم على ان يهاجر بلدتهُ الى حيث لا يعرفهُ احد فاذا تعذر عليهِ الاستخدام لجأ الى السؤال الى ان يمن الله عليهِ بالفرج . فغادر مسقط رأسهِ وذهب هائماً على وجههِ الى ان بلغ احدى ضواحي لندن وكان قد نهكهُ الكلال والجوع فمال الى

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

فندقٍ صغير وجلس ليستريح ثم طلب من صاحب الفندق ان يجود عليهِ بشيءٍ يسدّ بهِ رمقهُ فادركتهُ عليهِ شفقةٌ واتاهُ بطعام وشراب ووضعهما لهُ على احدى موائد الفندق فجلس ياكل . وكان على مائدةٍ اخرى بالقرب منهُ اثنان من اهل تلك الناحية يتناولان الطعام وقد خاضا في الحديث ونظر احدهما من احدى نوافذ الفندق فرأى قصراً فاخراً تحيط بهِ حديقةٌ غنآء فقال لمن هذا القصر والحديقة فاخذ الآخر يقصّ عليهِ خبر ذلك القصر فقال هو لرجلٍ من الاغنياء يقال لهُ اللرد مانرت وهو رجلٌ قبيح الصورة والاخلاق يبلغ الثمانين من العمر قصير القامة ضخم الجثة كبير الرأس وحشيّ الملامح لهُ عينان صغيرتان يتوسطهما انفٌ عظيم وهو على ذلك شرس الطباع سيئ العشرة بالغٌ من البخل اعظم مبلغ مع ان عندهُ من الاموال والعقار ما لا يعلم مقدارهُ الا الله . وقد تزوج منذ عهدٍ غير بعيد فتاةً هي من اجمل خلق الله صورةً فتية السن لا تتجاوز الرابعة والعشرين الا انها كانت رقيقة الحال فاكرهها اهلها على الاقتران بهِ طمعاً في مالهِ من بعدهِ واغترّت المسكينة بالآمال فتزوجت اللرد غير انها لم تلبث عندهُ الا قليلاً حتى لعنت اليوم الذي تم فيهِ ذلك الزواج وعلمت انها قد وقعت في شركٍ لا خلاص لها منهُ الا بموتها او موت اللرد . فانهُ لشدة غيرتهِ عليها سجنها في قصرهِ فلم يكن يسمح لها بالخروج منهُ منذ يوم دخلتهُ ولا هو يخرج من القصر ليلاً ولا نهاراً وزاد على ذلك ما هو فيهِ من البخل والشح الشديد مع سائر ما ذكر من صفاتهِ خَلقاً وخُلقاً حتى كرهت المعيشة وجعلت تندب حظها وشبابها

وان لزوجها نسيباً اسمهُ ادورد كان يزورهُ في بعض الاحيان وهو

فتىً جميل الطلعة حسن الخلال فاجتهدت في استمالتهِ حتى علق بمحبتها وجعل يكثر من التردد الى القصر والخلوّ الى الفتاة وشعر اللرد من ذلك بما مضهُ واستوقد نار غيرتهِ فحظر عليها مجالسة ادورد واجتهد في قطع الصلات بينهما قبل تمكنها فزاد ذلك في كمدها وغمها واضحت العيشة بينهما مرارةً يتقلبان منها على مثل عذاب السعير . وقد بلغني ان في قصرهِ هذا غُرَفاً قد جمع فيها من الجواهر الثمينة واللآلئ النفيسة ما لو وُضِع في كيسٍ واحد لما تمكن رجلان من رفعهِ عن الارض وهذا خلا النقود التي تقدَّر بالملايين ومع ذلك فان نفقاتهِ لا تبلغ نفقة اقل واحدٍ من اواسط الناس

وكان يوسف مصغياً لهذا الحديث يسمع ويعجب من تباين قسمة الله في الارض وهو يقابل حالة اللرد مع حالتهِ الشقية فهام في بيداء الافكار والتأملات . ولبث تلك الليلة في الفندق فتكرم عليهِ صاحب الفندق بسرير ينام عليهِ فاستلقى على سريرهِ وجعلت الافكار تدور في رأسهِ وهو يتمنى لو يحصل على جزءٍ يسير من تلك الالوف المؤلفة التي عند اللرد فلم يأخذهُ غمضٌ وادركتهُ اذ ذاك عوامل خفية اماتت ما بقي حياً من عزة نفسهِ وسلامة ضميرهِ واحدثت عندهُ جرأةً على ان يقصد في تلك الليلة قصر اللرد ويحتال في الحصول على شيءٍ من تلك الجواهر . وما زال يتردد بين العزم على ذلك والنكوص عنهُ حتى انتصف الليل وغلب عليهِ الاقدام على الامر فنهض من سريرهِ وحمل كيساً رآهُ في الغرفة وانسلّ من الفندق فتوجه الى ناحية القصر . ولما بلغ سور الحديقة تسلقهُ ثم اخذ يمشي متحرزاً حتى بلغ البيت وكانت نوافذ الدار السفلى قريبةً من الارض فاحتال على ان فتح

احداها ولم تكن مشبكةً بالحديد فسر بذلك واستبشر بنيل مأربهِ وفي اسرع من طرفة عين وثب الى داخل الغرفة فاستتر تحت ذيل الظلام . وبينا هو يفكّر كيف ينقل خطواتهِ واي جهةٍ يتخذ اذا بنورٍ قد لمع امامهُ بغتةً وقائلٍ يقول لهُ حيّا الله مقدمك ايها الصاحب . ولا حاجة الى شرح ما المّ بيوسف على اثر تلك المفاجأة ولا سيما وهو لم يتعود ركوب مثل هذا المركب المخيف ونظر فابصر امامهُ فتاةً بثيابها البيض وقد سدلت شعرها الاسود على كتفيها وفي يدها شمعة شديدة الضيآء فاصطكّت ركبتاهُ وامتقع لونهُ وهمَّ بالفرار غير انهُ لم يستطع وشعر كأن قوةً كهربآئية قد سمّرتهُ في موقفهِ فلم يقوَ على الحراك . ورأت الفتاة عليهِ علائم الخوف فكلمتهُ بصوتٍ لطيف وقالت لا تخف يا صاح فقد لمحتك من غرفتي حين تسلقت جدار الحديقة ورأيتك تحاول فتح النافذة فاتيت للحال لافتحها لك لو لم تسبقني انت الى ذلك . والآن فهلمَّ معي بدون ان يشعر بنا احد ولا تخف فاني صديقتك واحب ان اساعدك فيما تنويهِ . فقال يوسف لا شك ان قصدكِ ان تقودني الى الدار حيث توثق يداي وأُرسل الى السجن وانا حتى الآن لم اجنِ جنايةً فدعيني اذهب ولا تخدعيني بدعوى الصداقة وانكِ تريدين مساعدتي على سلب بيتكم . قالت بل هو ما اقول لك فاني اريد مساعدتك فعلاً لاسبابٍ اهمها علمي بانك محتاج ولولا ذلك لما خاطرت بحياتك واقدمت على هذا العمل . وزوجي اللرد رجلٌ غنيٌّ واسع الثروة وهو مع ذلك لا يساعد احداً وانا على عكسهِ فان لي قلباً يشعر بالمصائب وارى من العار والدناءة بل من مخالفة مشيئة الله ان تكون الجواهر الثمينة والقناطير المقنطرة من

الاموال مدفونةً تحت ابنية هذا القصر وامثالكم يتضورون جوعاً ولا يجدون ما يمسكون بهِ رمقهم . اجل اني اودّ ان اؤاسي امثالك ولو افقدت زوجي شيئاً من مالهِ فاني اكرههُ لاني اكره الغنيّ البخيل واحبّ مؤاساة الفقير لاني ذقت طعم الفقر فسر معي ولا تخشَ ولكن اقفل النافذة التي دخلت منها لئلاّ يرى احدٌ النور هنا في مثل هذا الساعة

ورأت السيدة الكيس على كتف يوسف فتبسمت ثم سارت امامهُ الى ان بلغا غرفة فسيحة قد خصصها اللرد لخزن جواهرهِ وزين جدرانها باصناف الاسلحة والآلات القديمة وملأها بصناديق زجاجية قد وضع فيها مجاميع من اوسمة (نياشين) الدول وما استطاع جمعهُ من الحلى والمصوغات ونفائس الجواهر . فكان يوسف ينظر الى هذه الاشياء وهو لا يصدّق ان ربة البيت تقودهُ لتساعدهُ على سلب اموال بعلها . وانتهى الى واحد من تلك الصناديق مملوء بالجواهر فوقف امامهُ واخرج من جيبهِ سكيناً فعالج بهِ قفل الصندوق حتى فتحهُ . فقالت لهُ السيدة لا تعجل يا صاح فانك ستصل الى افضل من هذا فقال اشكركِ يا سيدتي لكن هذا يكفيني اذا سمحتِ لي بهِ .. قالت نعم هو يكفي ولكنك ستجد صعوبةً في بيع هذه الجواهر وربما عُرِفت فافتضحتَ بسببها فالافضل لك ان يكون ما تأخذهُ نقوداً . قال هذا هو الصواب . قالت ان زوجي ينام في الغرفة التي فوقنا وتحت سريرهِ اكياسٌ ملأى بالليرات فان استطعت ان تحمل واحداً منها اغناك آخر الدهر . قال اجل لكن اذا استيقظ زوجكِ فماذا يحل بي . قالت انك تستطيع ان تسكتهُ في اقلّ من لحظة . وللحال لمع في عينيها برق الانتقام

فادرك يوسف حينئذٍ انها ما ارادت الا ان تستعين بهِ على الايقاع بزوجها انتقاماً منهُ وتخلصاً من شرهِ ولما لم يسبق لهُ عادةٌ بمثل ذلك قال لا يا سيدتي فاني اسرق لاضطراري الى المال ولكني لا اقتل . قالت انت وما تريد ولقد كنت اظنك فتاكاً جريئاً على الاهوال فخاب ظني فيك واذا كنت قد اقتنعت بالجواهر فخذ من هذا الصندوق الذي فتحتهُ ما تستطيع حملهُ

وبينا همّ ان يمدّ يدهُ الى الصندوق اذ رأى السيدة قد نظرت الى الخارج واعارت اذناً صاغية فتوقف لينظر ما يكون وللحال سمعا كلاهما وقع اقدام ثقيلة في اول الدهليز ورأيا نوراً ضعيفاً فقالت لهُ هذا زوجي قد اقلقتهُ افكارهُ ولعلهُ سمع حركةً فجاء لينظر ما الخبر فاختبئ انت ورآء هذا الستار واذا وصل احتلتُ على صرفهِ ثم تأخذ ما تريد وتنصرف . فدخل واختبأ ورآء ستار النافذة ولم يلبث قليلاً حتى وصل اللرد فوقف بباب الغرفة وهو بثياب النوم وفي يدهِ شمعة فرأى زوجتهُ واقفةً امام صناديق الجواهر . فالقى عليها نظرةً حادّة وقال ما الداعي لوجودكِ هنا في مثل هذه الساعة . قالت اني ارقتُ في هذه الليلة ولم استطع الرقاد وليس لي ما اتسلى بهِ فجئت اقطع قليلاً من وقتي برؤية هذه الكنوز . قال لا عجب في ذلك فان من يحاربهُ ضميرهُ لا ينام . قالت اذن لذلك انت تنام ملء عينيك ولا تكاد تستيقظ الا في النادر . قال اما انا فان ضميري لا يحاربني الا على امرٍ واحد وهو اتخاذي اياكِ زوجةً لي فياليتني متّ قبل ان انزلت نفسي الى مقامكِ او رفعتكِ الى مقامي . قالت وما يمنعك ان تطلقني . قال خوفي من الفضيحة بألسنة الناس ولذلك آثرت مضّ البلية على احتمال العار وانا اعلم انكِ تودين

الطلاق لتتخذي ادورد زوجاً لكِ ولكن ينبغي ان تعلمي ان هذا من المحال فموتكِ امام عينيَّ ايسر من خلاصكِ من يدي . ثم زفر زفرةً محرقة وقال آه من النسآء يطالب المرء شريكةً لحياتهِ تشاطرهُ السرّآء والضرآء فتكون قذًى في عينهِ وغصةً في حلقهِ ومرارةً يتجرعها كل دقيقة

وكان هياج اللرد شديداً ورأى بجانبهِ كرسيًّا فجلس عليهِ واخذ يحدّق الى الصناديق ليرى هل طرأ عليها شيءٌ . وكان يوسف قد ترك السكين على غطآء الصندوق الذي فتحهُ فلمحتهُ زوجة اللرد قبل ان يراهُ هو فاسرعت وتناولتهُ خلسةً واخفتهُ في يدها بين اثنآء ثوبها ثم اتت ووقفت ورآء كرسيّ زوجها وكان اللرد لا يزال يتمتم بالشتائم ويلعن الساعة التي اتخذ فيها زوجةً .وعند ذلك بلغ الغيظ من زوجتهِ مبلغهُ وفطنت للسكين الذي في يدها فرفعت يدها من ورآء زوجها وطعنتهُ في عنقهِ طعنتين فتدفق الدم من وريدهِ وحاول ان ينهض فلم يقدر فصاح قتلتني ايتها الملعونة وللحال خرّ الى الارض صريعاً فتلوّى وتشنج وأنّ الى ان فاضت روحهُ وهي قابضة عليهِ بيديها

ولما سكنت حركة اللرد خرج يوسف من مخبئهِ وتقدم نحوها فنظرت اليهِ باسمةً وقالت لهُ بقلبٍ ملؤهُ السكينة انك لم تجترئ على هذا العمل فعملتهُ انا وارحت نفسي من شر هذا الظالم العتيّ لا رحم الله روحهُ . قال يوسف لكن ربما قُتلتِ بعدهُ بيد العدل . قالت هو خيرٌ لي من ان يبقى حيًّا واذوق معهُ الموت كل يومٍ اصنافاً .والآن فهلمّ وساعدني لنجلسهُ على كرسيّهِ وخذ ما شئت من هذه الجواهر وعجل خروجك فقد اوشك ان

يتبسم الصباح . فاقترب يوسف وساعدها على رفعهِ حتى اجلساهُ على الكرسيّ وتلوثت يدا يوسف من دمهِ فشعر بقشعريرةٍ ورعدةٍ عظيمة . ولما فرغا من ذلك همّ بالخروج فقالت لهُ والجواهر .قال لم اعد باحتياج الى شيء سوى الخروج من هذا المحل . قالت لا تكن سخيف العقل فلن يكون لك غير هذه الفرصة فخذ ما استطعت من المال قبل ان تتقاسمهُ ايدي الغرباء .ثم فتحت لهُ الكيس واخذ يضع فيهِ من تلك الجواهر حتى بلغ كفايتهُ ثم حمل الكيس وانحنى لها شاكراً وخرج من النافذة ولما وطئ الارض تنفس نفساً مديداً وقال الحمد لله فقد نجوت .غير انهُ ما كاد يرفع رجلهُ ليخطو حتى سمع صراخاً دوت لهُ تلك الناحية وصوتاً يصيح واذلاّهُ قتلوا زوجي . امسكوا القاتل امسكوا القاتل . فلما سمع يوسف ذلك بادر فطرح الكيس عن كتفهِ واطلق ساقيهِ للريح غير انهُ ما وصل الى سور الحديقة حتى سدت الخدم في وجههِ باب الفرار فامسكوهُ ورجعوا بهِ الى البيت ثم وصلت الشُرَط والجنود فاوثقوهُ وادخلوهُ الى الغرفة حيث القتيل على كرسيهِ والزوجة الخائنة جاثية بجانبهِ تبكي بكآءً مرًّا . فسألها الشرطي اهذا هو القاتل يا مولاتي فرفعت منديلها عن عينيها ونظرت اليهِ وقالت نعم هو بعينهِ . ثم قالت لهُ ويلك ايها الغادر كيف طاوعتك يدك الاثيمة على قتل هذا الشيخ العاجز . وغلب على يوسف الدهش فلم ينبس ببنت شفة فقال لهُ الشرطي مالك لا تتكلم . فقال يعلم الله يا مولاي اني لست انا القاتل واذا قلت لكم انها هي القاتلة فهل تصدّقون . فلطمهُ احد الخدم على رأسهِ وقال لهُ اخرس يا لئيم . فقالت لهم دعوهُ انتم واتركوا امر معاقبتهِ للقضآء . ثم

نظرت الى يوسف وقالت نعم ايها السفاك الباغي والسارق المعتدي اني رأيتك واقفاً في هذه الغرفة ورايت زوجي المسكين مضرجاً بدمآئهِ وبين يديك كيسٌ مملوء بالجواهر التي سرقتها من هذا المحل فحملتهُ وبادرت الفرار فالويل للّصّ القاتل . وفيما هي تتكلم اذ دخل احد الخدم ومعهُ الكيس الذي طرحهُ يوسف عند هربهِ وهكذا تبرأت تلك الخائنة وعبثاً حاول يوسف تبرئة نفسهِ فاخذوهُ وزجّوهُ في السجن المؤبد يقاسي فيهِ الوان العذاب وخلا الجوّ لتلك الاثيمة فاقامت بعد ذلك تتمتع بالسعادة والغنى مع محبوبها ادورد

ومرّت على يوسف بضع سنوات في السجن وهو صابرٌ مستسلمٌ لاحكام القضآء وقد ايقن ان ذلك كان عقاباً لهُ لمطاوعتهِ نفسهُ الأمارة بالسوء . واتفق بعد ذلك ان مفتش السجون طاف عليها يزور المسجونين وينظر في احوالهم ولما بلغ سجن يوسف توسل اليهِ ان يسمع خبرهُ وقصّ عليهِ ما كان من امرهِ وانهُ انما يقاسي الحبس ظلماً ولكن شواهد الحال لا تسمح لهُ بالتبرّؤ لانها باسرها تثبت التهمة عليهِ . فرقّ المفتش لحالهِ ودعتهُ نفسهُ لتحقيق الامر فاحتال في التقرب من امرأة اللرد وجعل يتردد عليها المرّة بعد المرّة ويريها من نفسهِ التعلق بجمالها حتى تمكنت بينهما علائق الحبّ واخذ يستدرجها شيئاً فشيئاً الى ان باحت لهُ بالسرّ وكشفت لهُ حقيقة الواقع . واذ ذاك رفع المفتش الامر الى ديوان القضآء وبعد فحص القضية ظهرت لهم جلية الامر واعترفت اللعينة بما فعلت فأُطلق سراح يوسف بعد ان كوفئ عن مدة حبسهِ من مالها واستلم العدل تلك القاتلة لمعاقبتها بما تستحق

لغة الجرائد

(تابع لما في الجزء السابق)

ويقولون تعرَّف على فلان اذا احدث بهِ معرفةً وهو من التعبير العامي ومن الغريب ان اصحاب اللغة لا يذكرون ما يعبّر بهِ عن هذا المعنى لكن جآء في كتب المولدين تعرَّف بهِ معدًّى بالبآء وهو مبنيٌّ على قولك عرّفتهُ بهِ اذا جعلتهُ يعرفهُ على ما يؤخذ من عبارة المصباح . وقد ورد مثل هذا في الاغاني في اخبار عبادل ونسبهِ وهو قولهُ فحركتُ بعيري لأتعرّف بهنَّ وانشدهنَّ . ومثلهُ بعد سطر . وفي نفح الطيب في الكلام عن يوسف الدمشقي وكان من الذين اخفاهم الله لا يتعرّف بهِ الاّ من تعرّف لهُ اي اظهر لهُ معرفة نفسهِ . ومثلهُ في كلام ابن بطوطة وغيرهِ مما لا حاجة الى استقصآئهِ وفي كل ذلك كلامٌ لا محل لهُ في هذا المقام

ويقولون مكانٌ واطئٌ وقد وَطُؤَ المكان اي انخفض واطمأنّ ولم يرد من هذا الا قولهم الوطآء بفتح الواو وكسرها والميطآء لما انخفض من الارض بين النشاز والاشراف يقال هذه ارضٌ مستوية لا ربآء فيها ولا وطآء اي لا صعود فيها ولا انخفاض ولم يُسمَع من هذا فعل

ويقولون زرع الشجرة اي غرسها وانما الزرع للحبّ والبزر ولا يقال للشجرة وما في معناها

ويقولون سارت بهِ المركب فيؤنثون المركب وهو عجيب وقد ورد مثل هذا في سياقة الف ليلة وليلة ولا يُدرَى ما اصلهُ

ومثلهُ قولهم التهبت حشاهُ من الحزن وربما قالوا وجعتهُ رأسهُ ووجعتهُ